

يعقوب البديل



السَّبْتُ بَعْدَ الظُّهْرِ

المراجع الأسبوعية: التكوين ٢٥: ٢١ - ٣٤، التكوين ٢٨: ١٠ - ٢٢، التكوين ١١: ٩ - ١، التكوين ٢٩: ١ - ٣٠، التكوين ٣٠: ٢٥ - ٣٢.

آية الحفظ: «أَلَا إِنَّ اسْمَهُ دُعِيَ يَعْقُوبَ، فَقَدْ تَعَقَّبَنِي الْآنَ مَرَّتَيْنِ! أَخَذَ بَكُورِيَّتِي، وَهُوَذًا الْآنَ قَدْ أَخَذَ بَرَكَتِي». ثُمَّ قَالَ: «أَمَا أَبْقَيْتَ لِي بَرَكَهً؟» (التكوين ٢٧: ٣٦).

يمكننا أن نفهم الآن التاريخ العائلي المستمر لإسحاق، الطفل المعجزة والسلف الأول للنسل الموعود. لكنَّ القصة لم تبدأ بشكل جيّد. سوف تتجلى الشخصية المعيبة لابنه يعقوب في التنافس بين الأخوين على الحقّ في البكورية (التكوين ٢٥: ٢٧ - ٣٤)، وبالتالي على حقّ الحصول على بركة إسحاق (التكوين ٢٧).

وبما أنّ يعقوب يخدع أباه ويسرق البركة من أخيه الأكبر، سيتعيّن عليه الفرار للنجاة بحياته. وفي المنفى يواجهه الله في بيت إيل (التكوين ٢٨: ١٠ - ٢٢). ومن ذلك الحين فصاعدًا، سيختبر يعقوب المخادع بعض الخداع بنفسه. فبدلاً من أن يُعطى يعقوب راحيل التي أحبّها (التكوين ٢٩)، ستُعطى له ليئة، الابنة الكبرى، وسيكون عليه أن يعمل ١٤ سنة ليحصل على زوجته.

ومع ذلك، سيختبر يعقوب أيضًا بركة الله، لأنّه سيكون له في المنفى اثنا عشر ولدًا، وسيزيد الله ثروته.

وبالتالي، أيّما يكن ما قد نراه في هذه القصة، يمكننا أن نرى كيف يفى الله بوعود عهده، بطريقة أو بأخرى، بغضّ النظر عن عدد المرّات التي يفشل فيها شعبه.

* نرجو التعمّق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٢٨ أيار (مايو).

يعقوب وعيسو

اقرأ التكوين ٢٥: ٢١ - ٣٤. قارن بين شخصيتي يعقوب وعيسو. أية صفات جعلت يعقوب مستحقاً لبركة إسحاق؟

نفهم أنه منذ أن كان يعقوب وعيسو في بطن أمهما، كان يختلف واحدهما عن الآخر وكانا يتصارعان فيما بينهما. بينما يوصف عيسو بأنه صياد قوي يشتغل في الحقل، يُنظر إلى يعقوب على أنه شخص «لطيف» يجلس في الخيمة ويتأمل. الكلمة العبرية tam، المترجمة إلى العربية «كامل»، هي الفعل نفسه المُستعمل لوصف أيوب ونوح، وترجمت إلى «كامل» بالنسبة لأيوب (أيوب ٨: ٢٠) وإلى «بار» بالنسبة إلى نوح (التكوين ٦: ٩). إن هذا الاختلاف في الطباع يصبح أكثر وضوحاً في وقت لاحق من حياتهما (التكوين ٢٧: ١ - ٢٨: ٥). عندما يعود عيسو إلى المنزل مُتعباً وجائعاً، يطبخ له يعقوب العدس. كان عيسو يعتبر التمتع الفوري والجسدي بالطعام «اليوم» (التكوين ٢٥: ٣١) أكثر أهمية من البركة المستقبلية المرتبطة بذكورته (قارن مع العبرانيين ١٢: ١٦، ١٧). «إن المواعيد التي أعطيت لإبراهيم وثبتت لابنه تمسك بها إسحاق ورفقة كالغرض الأسمى لأشواقهما وأمالهما، وكان يعقوب وعيسو عالمين بهذه المواعيد، وقد تعلمنا أن يعتبرنا البكورية أمراً في غاية الأهمية، إذ أنها لم تكن تشمل امتلاك الثروة الأرضية فحسب، بل أيضاً السمو والتفوق الروحي، فالذي يحصل عليها يكون كاهن عائلته، ومن نسله يأتي فادي العالم» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ١٥٢).

أما بالنسبة ليعقوب، خلافاً لأخيه، فالذي كان يعنيه هو الأهمية الروحية للبركة في المستقبل. ومع ذلك، يقوم يعقوب لاحقاً، بتحريض من والدته (انظر التكوين ٢٧)، بخداع يعقوب والده علناً وعن عمد حتى أنه يستخدم اسم «الرب الهك» (التكوين ٢٧: ٢٠) في ارتكاب هذا الخداع. إنه يقوم بهذا الخداع السيئ على الرغم من معرفة يعقوب بأنه خداع لأجل غرض جيد.

كانت النتائج مأساوية، حيث أضفت طبقات جديدة بأكملها من الاختلال الوظيفي والتفكك إلى عائلة مختلة بالفعل.

كان يعقوب يرغب في الحصول على شيء جيد، شيء له قيمة، وهذا ما يدعو للإعجاب (خصوصاً عند مقارنة هذا الأمر بسلوك أخيه). وبالرغم من ذلك، فقد استخدم الخداع والأكاذيب للحصول عليه. كيف يمكننا تجنب الوقوع في فخ مشابه يجعلنا نعمل الشر لكي يأتي منه «الخير»؟

سَلْم يعقوب

بمجرد أن يعلم عيسو بأن يعقوب نال بركة أبيه، يدرك أن أخاه قد خدعه وأخذ مكانه (التكوين ٢٧: ٣٦)، ويطلب أن يقتله (التكوين ٢٧: ٤٢). تشعر رفاة بالقلق وتحاول أن تمنع وقوع هذه الجريمة التي من شأنها أن تسبب موت ابنيها كليهما (التكوين ٢٧: ٤٥). لذلك، وبدعم من إسحاق (التكوين ٢٨: ٥)، تُشجّع يعقوب على الفرار إلى عائلتها (التكوين ٢٧: ٤٣). وفي طريقه إلى المنفى، تقابل يعقوب مع الله في حلم في مكان سيطلق عليه فيما بعد بيت إيل، «بيت الله»، وهناك نذرَ نذرًا.

اقرأ التكوين ٢٨: ١٠ - ٢٢. قارن مع (التكوين ١١: ١ - ٩). كيف تختلف بيت ايل عن بابل؟ ما هو الدرس الذي نتعلمه عن علاقتنا بالله من تجربة يعقوب في بيت ايل بالمقارنة مع ما حدث في بابل؟

في هذا الحلم يرى يعقوب سَلْمًا عجيبة متصلة بالله. يُستخدَم الفعل العبري نفسه، matsav، للإشارة إلى السَلْم التي كانت «مَنْصُوبَةً» (التكوين ٢٨: ١٢) وإلى الرب الذي كان واقفًا عليها (التكوين ٢٨: ١٣)، كما لو كانت السَلْم هي نفسها الرب. إنَّ للسَلْم علاقة بمحاولة بابل الوصول إلى السماء. وكما كان الحال مع برج بابل، تصل السَلْم إلى «باب السماء». لكن في حين أن برج بابل يمثل الجهد البشري للعودة إلى الله والوصول إليه، تؤكِّد سَلْم بيت إيل على أن الوصول إلى الله لا يمكن تحقيقه إلا من خلال قدوم الله إلينا، وليس من خلال جهودنا نحن البشر. أمَّا «الحَجَر» الذي وضع عليه يعقوب رأسه ورأى حلمه، يُصبح رمزًا لـ «بيت إيل»، «بيت الله» (التكوين ٢٨: ١٧؛ قارن مع التكوين ٢٨: ٢٢)، والتي تشير إلى الهيكل والمقدس ومركز النشاط الإلهي لأجل خلاص البشرية.

ومع ذلك، فإنَّ يعقوب لا يقتصر على المعاني الروحية والباطنية للتعبير عن عبادته وإحساسه بالرهبة ممَّا حدث له، بمعنى أنه أراد أن يستجيب بشكل ملموس وخارجي. وهكذا، قرَّر أن «يعتشر» لله، لا لكي يحصل على بركة الله ولكن كاستجابة امتنان على عطية الله التي أُعطيت له بالفعل. نرى هنا مرةً أخرى فكرة العشور قبل فترة طويلة من قيام الأمة الإسرائيلية.

اقرأ مرة أخرى التكوين ٢٨: ١١. تؤخذ «العشور» من «كُلِّ مَا تُعْطِينِي» (التكوين ٢٨: ٢٢). ما هي النقطة المهمة التي ينبغي أن نستخلصها مما يقوله يعقوب هنا عن العُشْر وعمَّا يكون العُشْر؟

٢٤ آيار (مايو)

الثلاثاء

المُخَادِعُ مَخْدُوعٌ

اقرأ التكوين ٢٩: ١ - ٣٠. كيف ولماذا يسمح الله بالمُخَادِعِ الذي قام به لابان؟ ما هي الدروس التي تعلّمها يعقوب؟

أول ما يراه يعقوب عندما يصل إلى وجهته هو حجر، وربما يكون ذلك إشارة إلى حجر بيت إيل، ممَّا يدلُّ على حضور الله (التكوين ٢٨: ١٨، ١٩). هذا الحجر هو الذي سيقدِّم في النهاية الفرصة لكي يبدأ يعقوب بالتواصل مع راحيل. عندما سمع يعقوب من الرعاة القائمين على حراستهم بأنَّ راحيل أتت مع غنمها لتسقي قطيعها، دفع الرعاة إلى درجة الحجر. وعندما رفضوا، أتحت ليعقوب الفرصة لكي يفعل ذلك بمفرده ويقدم نفسه لراحيل (التكوين ٢٩: ١١). كان ردُّ فعل راحيل هو الركض إلى عائلتها. هذا الاتِّصال الأوَّل بين يعقوب وراحيل كان مُثْمِرًا: «أَحَبَّ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ» (التكوين ٢٩: ١٨) حتَّى أنَّ السنوات السبع التي عمل فيها عند لابان مقابل راحيل كانت «كأيَّام قَلِيلَةٍ» (التكوين ٢٩: ٢٠).

ومع ذلك، بعد مرور هذه السنوات السبع، يُخَدَع يعقوب. في ليلة العرس يجد يعقوب أنَّ التي في سريرها كانت ليئة، الأخت الأكبر، وليست راحيل. لابان، الذي استفاد من الهرج والمرج في حفل الزواج وانفعال يعقوب الشديد وضعفه، تمكَّن من تنفيذ هذه الحيلة. ومن المثير للاهتمام أنَّ يعقوب يستخدم الجذر نفسه لكلمة «يخدع» (التكوين ٢٩: ٢٥) الذي استخدمه إسحاق لوصف سلوك يعقوب تجاه أبيه وأخيه (التكوين ٢٧: ٣٥).

لاحظ أنَّ التفكير نفسه متضمَّن أيضًا في lex talionis (قانون الانتقام) «عَيْنًا بِعَيْنٍ، وَسِنًّا بِسِنٍّ» (الخروج ٢١: ٢٤؛ قارن مع التكوين ٩: ٦)، والذي يُجبر الجاني على التشابه مع الضحية، من حيث أنَّ الجاني يواجه ما فعله بالضحية. بطريقة مماثلة، إذن، ما فعله يعقوب بشخص آخر قد فُعل به الآن.

يفهم يعقوب الآن ما الذي يعنيه أن يقع المرء ضحية للخداع. ومن المفارقات أنَّ الله يُعلِّم يعقوب عن خداعه من خلال خداع لابان له. بالرغم من أنَّ يعقوب باعتباره

«مُخَادِعًا» (التكوين ٢٧: ١٢ - الترجمة المشتركة) يعرف جيّدًا ما يعنيه الخداع، إلّا أنّه يتفاجأ عندما يكون هو ضحيّة للخداع. لذلك يسأل السؤال «فَلِمَاذَا خَدَعْتَنِي؟» (التكوين ٢٩: ٢٥)، ممّا يدلّ على أنّه يعلم أنّ الخداع خطأ.

على الرغم من أنّ يعقوب كان مُخَادِعًا، إلّا أنّه هو نفسه قد خُدِع. كيف يمكننا أن نتعلّم أن نثق بالله عندما لا نرى «العدالة» تتحقّق، أو عندما نرى الناس الذين يرتكبون الشرّ يفلتون من العقاب، أو عندما نرى الأبرياء يُعانون؟

٢٥ أيّار (مايو)

الأربعاء

بَرَكَات الأُسرة

كانت السنوات السبع الأخيرة في المنفى بالنسبة ليعقوب عبئًا أثقل كاهله، ومع ذلك كانت هذه أيضًا أكثر السنوات إثمارًا وفائدة. سيكون يعقوب أبًا لأحد عشر طفلًا من أصل الاثني عشر طفلًا الذين سوف يصيرون فيما بعد أجداد شعب الله. يشكّل هذا القسم نقطة محورية في قصّة يعقوب (التكوين ٢٥: ١٩ - ٣٥: ٢٦). وهو يبدأ وينتهي بالعبارة الرئيسية «فَتَحَّ رَحِمَهَا»، في إشارة إلى ليئة (التكوين ٢٩: ٣١) وراحيل (التكوين ٣٠: ٢٢). في كلِّ مرّة ترد فيها هذه العبارة يأتي بعد ذلك ذكر لولادات، وهذا دليل على أنّ هذه الولادات هي نتيجة عمل الله المُعجزي.

اقرأ التكوين ٢٩: ٣١ - ٣٠: ٢٢. كيف يمكننا اليوم أن نفهم معنى ما يحدث هنا؟

لقد فتح الله رحم ليئة، وأنجبت ابنها رأوبين، الذي يتضمّن اسمه على فعل يعني «رأى». ولأنّ الله «رأى» أنّ يعقوب لم يحبّها (التكوين ٢٩: ٣١)، أتى هذا الطفل ليعوّضها عن ألمها ومعاناتها. بالإضافة إلى ذلك، أعطت لابنها الثاني اسم سمعان، الذي يتضمّن فعل السمع، لأنّ الله «سَمِعَ» عمق آلامها وذلّها، ولذلك تحنّن عليها وسمع لها مثلما سمع لهاجر في ضيقها (التكوين ٢٩: ٣٣).

إنّ ابن ليئة «سمعان» يتوافق أيضًا مع اسم ابن هاجر «إسماعيل»، والذي يعني «الربّ قد سمع» (راجع التكوين ١٦: ١١). عندما أنجبت ليئة ابنها الأخير، أطلقت عليه اسم يهوذا، والذي يعني «التسبيح». لم تعد ليئة تشير إلى آلامها أو حتّى بَرَكَاتها. إنّها تركّز فقط على الله وتمجّده على نعمته.

الغريب في الأمر أن الله لم «يتذكّر» راحيل ويفتح رحمها إلا عندما تعجز ليئة عن أن تلد مرة أخرى (التكوين ٣٠: ٢٢). كان على راحيل، الزوجة المحبوبة، أن تنتظر سبع سنوات بعد زواجها، و ١٤ سنة بعد خطوبتها ليعقوب، لكي تنجب ابنها الأول (التكوين ٢٩: ١٨، ٢٧؛ قارن مع التكوين ٣٠: ٢٥). وسَمَّته «يوسف» للدلالة على أن الله قد نزع «عاري... يَزِيدُنِي الرَّبُّ ابْنًا آخَرَ» (التكوين ٣٠: ٢٣، ٢٤). مهما كانت بعض هذه التصرفات خاطئة، كان الله ما يزال قادرًا على استخدامها، حتَّى لو لم يتغاض عنها، لكي يخلق أمة من نسل إبراهيم.

بأية طرق تكشف هذه القصة أن مقاصد الله ستتحقق في السماء وعلى الأرض، على الرغم من نواقص البشر وأخطائهم؟

٢٦ أيار (مايو)

الخميس

يعقوب يُغادر

إنَّ يعقوب الذي خدع أباه وأخاه ليحصل على البكورية، والذي سرق البركة التي قصد إسحاق أن يمنحها لابنه الأكبر، بقي في هذه القصة - بالرغم من ذلك - مكتوف الأيدي تجاه لابان وخدمته بأمانة. يعلم يعقوب جيدًا أنه قد خُدع من حميه، ومع ذلك فقد نسي الأمر. من الصعب أن نفهم موقف يعقوب السلبي بالنظر إلى مزاجه. كان من الممكن أن يثور، أو على الأقل أن يقاوم لابان أو يفاوضه. لكنَّه لم يفعل. لقد فعل ما طلبه لابان بغض النظر عن مدى عدم عدالة ذلك.

وبالرغم من هذا كلُّه، عند ولادة يوسف الابن الأول لراحيل، وصل يعقوب أخيرًا إلى السنة الرابعة عشرة من «خدمته» عند لابان (التكوين ٣٠: ٢٦)، وهو يفكر الآن في ترك لابان للعودة إلى أرض الميعاد. لكنَّ يعقوب كان يشعر بالقلق بشأن رعاية شؤون «بيته» (التكوين ٣٠: ٣٠).

اقرأ التكوين ٣٠: ٢٥ - ٣٢. ما الذي يحدث هنا؟ ما نوع التفكير الذي استخدمه يعقوب هنا؟ كيف استجاب لابان؟

كان الأمر كلُّه منعطفًا طويلًا جدًّا بالنسبة ليعقوب، الذي كان قد غادر وطنه أوَّل الأمر للعثور على زوجة. ربَّما لم يكن ينوي في الأصل أن يبقى بعيدًا عن بلاده لفترة طويلة، لكنَّ الأحداث أبعدته لسنوات. حان الوقت الآن للعودة إلى المنزل، ويا لها من عائلة سيرجع معها أيضًا!

ولكن، لماذا لم يترك يعقوب لابان على الفور؟ يقترح خضوع يعقوب بشكل غير طبيعي أن يعقوب من الممكن أن يكون قد تغيّر؛ لقد فهم درس الإيمان. وهذا يعني أن يعقوب انتظر إشارة الله للذهاب. يقرّر يعقوب الانتقال فقط عندما يكلمه الله. يعلن الله ذاته ليعقوب على أنه «إله بيت إيل»، ويأمر يعقوب بمغادرة منزل لابان والعودة إلى «أرض ميلادك» (التكوين ٣١: ١٣) مستخدماً الكلمات نفسها التي دعا الله بها أبرام ليغادر «أرضك» (التكوين ١٢: ١).
والأمر الآخر الذي ساعده على أن يرى أن الوقت قد حان للذهاب هو تصرّف أبناء لابان ولابان نفسه (راجع التكوين ٣١: ١، ٢).
«لقد كان يعقوب يرغب في الرحيل عن قريبه الماكر هذا منذ وقت طويل لولا خوفه من ملاقاته عيسو، والآن هو يحس أن الخطر سيأتيه من ناحية أولاد لابان الذين إذ كانوا ينظرون إلى ثروته على أنها ملكاً لهم فربما فكروا في اغتصابها منه» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ١٦٤، ١٦٥).
وهكذا، أخذ عائلته وممتلكاته وغادر، وبذلك تبدأ مرحلة أخرى في الملحمة الكبرى لشعب العهد الذي أقامه الله.

٢٧ آيار (مايو)

الجمعة

لَمَزِيدٍ مِنَ الدَّرْسِ: لقد اختار الله يعقوب لا لأنَّ يعقوب كان مستحقاً لذلك، ولكن بسبب نعمة الله. ومع ذلك، عمل يعقوب بجد في محاولته أن يكون مستحقاً للنعمة، وهذا بحد ذاته تناقض. لو استحقها، لما كانت نعمة، بل سيكون ذلك من الأعمال (انظر رومية ٤: ١ - ٥)، وهو ما يتعارض مع الإنجيل. في وقت لاحق فقط بدأ يعقوب يدرك أهميّة نعمة الله وما يعنيه أن يثق في الله ويحيا بالإيمان ويعتمد كلياً على الرب. تتضمن تجربة يعقوب درساً مهمّاً للشخص الطموح: لا تجتهد في الترويج لنفسك على حساب الآخرين.
«لقد فكّر يعقوب في أن ينال الحق في البكورية من خلال الخداع، لكنّه وجد نفسه مُحَبَطاً. كان يعتقد أنّه خسر كلّ شيء، وعلاقته بالله، ووطنه، وكلّ شيء، وكان هناك هارباً مُحَبَطاً. لكنّ ماذا فعل الله؟ نظر إليه وهو في حالة ميؤوس منها، ورأى خيبة أمله، ورأى في ذلك مادّة من شأنها أن تُرَجِّع المجد إلى الله. وما لم يكده الله يرى حالة يعقوب حتّى عرض عليه السُّلم الغامضة التي تمثّل يسوع المسيح. وفي ذلك نرى الإنسان الذي فقد كلّ اتّصال بالله، وينظر إليه إله السماء ويقبل بأن يردم المسيح الهوّة التي أحدثتها الخطيئة. ربّما كنّا سننظر ونقول، أنا أشتاق إلى السماء، ولكنّ كيف يمكنني الوصول إليها؟ لا أرى سبيلاً لأقوم بذلك بأيّ حالٍ من الأحوال. وهذا ما اعتقده يعقوب، وهكذا أظهر له الله رؤية السُّلم، وهذه السُّلم تربط الأرض بالسماء، وتربط الأرض بيسوع المسيح. يمكن للإنسان أن يتسلّق تلك السُّلم، لأنّ قاعدتها تستقرّ على الأرض ويصل أعلاها إلى السماء» (تعليقات إلن هويت، في «تفسير الأذنتست السبتيين للكتاب المقدّس»، مجلد ١، صفحة ١٠٩٥).

أسئلة للنقاش:

١. انظر إلى الصفات الشخصية الخاصّة بالشخصيات التالية (إسحاق، رفقة، يعقوب، عيسو، لابان، راحيل، وليئة) في بعض هذه القصص الوارد ذكرها في التاريخ المقدّس. انظر إلى كلّ الأكاذيب والخداع. ماذا تعلّمنا هذا الأمر عن الطبيعة البشرية بشكل عام وعن نعمة الله؟

٢. إذ تقرأ قصّة يعقوب، ما الدليل الذي يمكن أن نجده والذي يشير إلى أنّ أخلاقه قد نضجت ونمت مع مرور الوقت؟

٣. بأيّة طرق قد نتعرّض، نحن كأدفتنتست سبتيين، إلى خطر أن يكون لدينا سلوك مثل سلوك عيسو تجاه حقّه في البكورية؟ بمعنى، كيف يمكننا التأكّد من أنّنا لا نتوقّف أبداً عن أن نتعامل بحبّ وتقدير مع كلّ النور الذي أعطانا إيّاه الله؟